مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــرام
التاريخ : ١٩٧٤/٤/١٩

# لم يكن العبور معجزة.. ولم يكن النصر مصادفة

## ولكنه كان ذروة العمـل الوطنى

لم يكن العبـور معجـزة ولم يكن النصر مصـادفة ، لقـد كانا ثمـرة القـرار الذى تجـاوز كل التقديرات المتشائمة واندفاع الالوف من شباب الفـلاحين والعمـال والمثقفـين الى الفـداء ، ووقفة مصر الخـالدة كلها فى هبـة تلقائية خلف قواتها المسلحة وان ما صنعه المقـاتلون فى مواجهة العدو يستطيع أبنـاء هذا الشـعب أن يصنعوه فى كل مواقـع العمـل الوطنى . . قهرا للتخلف وتأكيدا على أن مصر أكتوبر هى مصـر المستقبل

٢٦٦١٦

هناك أيام فى حياة الامم لا تقاس بوحدات الزمن ، وانما تقدر بوزن ما تفتحه من آفاق وما تتيحه من آمال ، وماتلهمه من افكار ، وما تلهبه من عزائم . وهى بطبيعتها أيام نادرة لا تعرض للامة الواحدة الا مرة كل عشرات من السنين . والامم الجديرة بالتقدم والازدهار هى تلك التى تعرف كيف تمسك بالفرصة التى لاتتكرر لكى تشق ما انفتح أمامها من طرق ، وتحيل بعملها ما يلوح من أمل الى واقع حى ، وتجعل من مجدها صفحات مشرقة من تاريخ البشرية ولا تتركه ومضة خاطفة ليس لها من غد .

لقد أراد أعداء مصر ، أعداء التحرر والتقدم ، بعدوان ١٩٦٧ ابعاد مصر عن مسيرة التقدم ، وعزلها عن الامة العربية مستهدفين أن تنزوى على نفسها تطحنها مشكلات داخلية حقيقية أو مصطنعة ، فتنسى ماضيها أو تتنكر لرسالتها ، وهى التى تهيأ لها من الموقع الجغرافى والطاقات البشرية والتراث الحضارى والروابط القومية ما يؤهلها لتكون فى الطليعة بين شعوب العالم المناضلة من أجل الحرية والتقدم والسلام والرخاء .

وكانت حرب اكتوبر الخالدة هى رد شعب مصر العظيم من خلال أمته العربية المجيدة وبها ، وكان ردا على مستوى مصر ، تجاوزت آثاره قضيتنا المباشرة لتغير اوضاع المنطقة كلها وتنعكس على الاوضاع العالمية ذاتها .

## العالم بعد أكتوبر

حقا أن العالم بعد اكتوبر ١٩٧٣ ، كما قلت فى مناسبة سابقة ، غير العالم قبله .

كانت اسرائيل ١٩٦٧ هى القوة المتحكمة فى المنطقة ، وكان الظن السائد أن العرب لا يملكون تغيير هذا الوضع ، وكانت السياسات العالمية ترسم وفقا لهذا الفهم . ثم فوجىء العالم كله بقواتنا المسلحة .

تعبر القناة ...

وتحطم خط بارليف ...

وتخوض أضخم معارك الدبابات فى التاريخ فى تلاحم كامل مع شقيقتها القوات المسلحة السورية وتكبد العدو أفدح الخسائر ..

والعرب تتوحد كلمتهم دفاعا عن حقهم المشروع .

وكل القوى المحبة للسلام والعدل تلتف حول القضية العربية .

تغيرت الصورة رأسا على عقب ، وأصبح من المتعين على كل الاطراف أن تعيد النظر فى سياستها وفقا للاوضاع الجديدة التى صنعتها دماء الشهداء وتضحيات الابطال وما سبق ذلك وواكبه وتلاه من تخطيط عسكرى وعمل سياسى ممتاز .

ان شعبنا العظيم قد خاض تجربة الهزيمة ، وعاش سنوات المرارة والتمزق وعاش أيضا تجربة صنع النصر ...

وما كان لهذا كله أن يحدث دون أن نستمد منه طاقات جبارة لبناء مستقبل سعيد .

لقد كانت سنوات الهزيمة فترة امتحان قاس للضمير . ناقشنا فيها انفسنا . ووضعنا كل جوانب العمل الوطنى تحت مجهر النقد ، واستبد بنا التمزق حتى ظهرت في الافق بعض الاتجاهات الانهزامية تشكك فى كل شيء ، وتهون من قدرات هذا الشعب العظيم ..

## مصر خلف قواتها

واسمحوا لى ان أذكركم في هذا المقام أننى قلت ونحن فى ليل الهزيمة فى خطابى بمناسبة عيد أول مايو ١٩٧١ :

« ان علينا أن نجعل من الهزيمة نقطة انطلاق لبناء دولة جديدة » .

ولم يكن قولى هذا ضربا من التعلل بالامال . ولكنه كان مبنيا على الايمان العميق بالشعب وصلابته وتفانيه وقدراته الخلاقة . وعلى تقدير موضوعي لتجربتنا الثورية اقنعنى انه بتصحيح مسار الثورة . وتصفية سلبيات التجربة ، يمكن أن نبنى بناء شامخا .

وبنفس هذه الثقة . وضد كل دعاوى الهزيمة ، وبتجاوز لكل التقديرات المتشائمة ، وباحساس عميق بالمسئولية أمام جماهير الشعب التى التفت من حولى ، وبالاشتراك مع أخى رئيس سوريا ، اتخذت قرارى بانهاء حالة اللاسلم واللاحرب ، واصدرت أوامرى للقوات المسلحة المصرية التى كانت تتلهف لتلقيها ، فاندفع الالوف من شباب الفلاحين والعمال والمثقفين يملأ الايمان قلوبهم ويحكم الفداء حركتهم .

وكان القتال المجيد الذى اثبت للعالم كله قدرة القيادة على التخطيط الممتاز والاعداد الدقيق ، وقدرة المقاتل المصرى على السيطرة على الاسلحة الحديثة واستخدامها الاستخدام الفعال جنبا الى جنب مع شجاعته النادرة .

وفى لحظات ، كانت مصر كلها خلف القوات المسلحة ، يتبارى كل ابنائها فى البذل والعطاء ، فى هبة تلقائية لم تترك فردا الا وجذبته . فاجأ هذا الشعب - الذى اشتهر بحبه للسلام - الاصدقاء والاعداء بقدرته الرائعة على أن يتحول فى لحظات الى شعب مقاتل ، لا يتردد أمام تضحية ، ولا يجفل أمام خطر ، ويتبنى كله شعار القوات المسلحة : « النصر أو الشهادة » .

ولذلك فانه من الخطأ الجسيم أن نقول عن العبور الظافر أنه معجزة ، لان المعجزة بطبيعتها أمر خارق يفوق الطاقات العادية للبشر ولا يمكن تكراره ، انما يجب أن ننظر اليه على أنه ذروة للعمل الوطنى . علينا أن نتمثل دروسه ، لكى نتخذه نمطا ترتفع الى مستواه كل جوانب العمل الوطنى .

ان أعظم تقدير لايام القتال المجيدة ليس التغنى بها ، وانما استلهام معانيها لكى نحرز فى مختلف مجالات العمل الوطنى ما أحرزنا من نجاح فى العمل العسكرى .

ليكن شعارنا دائما أنه ما دمنا قد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع بنفس المستوى فى كل مجال .

ان المقاتلين هم صفوة من أبناء هذا الشعب . وما صنعوه فى مواجهة العدو الشرس الغادر المدجج بالسلاح يستطيع أبناء هذا الشعب أن يصنعوه فى مواقع الانتاج والخدمات ، لنقهر التخلف ونتخلص من السلبيات الموروثة ونؤكد بالانجاز أن مصر أكتوبر هى مصر المستقبل .